العرب
الخميس 2019/12/19
السنة 42 العدد 11563

«فرانكشتاين في المدينة» الوحش في الآداب والفنون

شخصية سردية مرعبة

بقيت أكثر من 200 عام ترفد الفنون والآداب

تعتبر شخصية فرانكنشتاين من أشهر وأهم الشخصيات الخيالية على الإطلاق حيث خرجت من مخيلة الكاتبة الإنكليزية ماري شيلي منذ القرن التاسع عشر، لتصبح نموذجا للوحش، وللشخصية المركبة والمرعبة وظلت تتداول الشخصية إلى يومنا هذا في أعمال فنية وأدبية مختلفة. وفي هذا الإطار ينظم بيت الرواية التونسي تظاهرة "فرانكشتاين في المدينة" وذلك يومي 19 و20 ديسمبر 2019.

وارد بدر السالم
كاتب عراقي

يستضيف "بيت الرواية" في تونس الخميس مؤتمراً أدبياً عربياً تحت عنوانين لافتين هما "فرانكشتاين في المدينة" أو "الوحش في الآداب والفنون" بواقع ندوتين تتضمنان عدداً من المحاور في الأدب والفن والسينما التي تتناول موضوعة الشر والوحش والمسخ.

ويسهم في كلا الندوتين باحثون ونقاد وروائيون ومترجمون عرب لإضاءة هذه الثيمة من وجهة نظر عربية، تتقصى أثر الشر في الأدب والفن الذي تمثله شخصية فرانكشتاين الخيالية المبتكرة قبل مئتي عام للروائية البريطانية ماري شيلي.

فرانكشتاين نقيض لأسطورة بيجماليون اليونانية التي باركتها الآلهة، فهو يمثل التمرد بأعلى درجاته المفزعة

من شخصية خيالية ألهبت خيال السرديين والفنانين في العالم إلى ندوة متخصصة تبحث في "شرّانية" الأدب عموماً عبر فرانكشتاين كمحفّز لمخيلة الكتابة العلمية والأدبية التي تتناول موضوعة الشر بوجهها العام. لذلك ارتبط اسم الروائية الإنكليزية ماري شيلي برواية "فرانكشتاين" كواحدة من أكثر الروايات رعباً وإثارة وبقاءً في ذاكرة الروايات العلمية. واستُلهمت هذه الشخصية الشريرة في أعمال سينمائية ومسرحية وتشكيلية كثيرة، بل وروائية أيضاً، حينما تركت آثرها الواضح على خيال الكتابات السردية، بوصفها نوعاً من أنواع الرواية القوطية التي تعالج الغرائبيات والأرواح والمسوخ والكوابيس، وهو موضوع أصبح أثيراً وموازياً للكتابة الواقعية، ليحقق خياله السردي تحت هذا القناع الذي تجري من ورائه حقائق الواقع الصادمة.

بالطبع سيكون فرانكشتاين نقيضاً لأسطورة بيجماليون اليونانية. فهو يمثل التمرد بأعلى درجاته المفزعة، بينما الأسطورة اليونانية قد باركتها الآلهة فينوس وتزوج الخالق بالمخلوق. ومن هذا التناقض السردي والفني تبقى "فرانكشتاين" شاخصة ببُعدها الفني والجمالي بعد مرور كل هذا السرد الزمني، وهي تصور القبح والشر في أعلى مراحلهما، ففي حين يبقى الأثر النحتي لبيجماليون شاخصاً أيضاً في الذاكرة الفنية وهو يصور الجمال في أعلى درجاته الأسطورية. على أن هذا المؤتمر سيتصدى لجانب واحد وهو الجانب السلبي الذي تصوره المنجزات العربية والعالمية في الرواية والسينما والفن التشكيلي لما له من رصيد "واقعي" في الحياة بشكل عام، ليكوّن إضافة نقدية وجمالية لجوهر فرانكشتاين- الشر الذي مارسته الكتابة منذ ذلك التاريخ حتى أصبح إحدى العلامات الواضحة في هذه المسارات السردية والفنية.

الكائن فرانكشتاين أو إله النار الجديد هو عالِم نجح في جمع أعضاء بشرية ونفخ فيها الروح بطريقة علمية حتى تحول إلى وحش بشري دموي وقوة هائلة نال من الآخرين بطريقة بشعة، وبذلك "تخلق" ماري شيلي شخصية سردية مرعبة بقيت لأكثر من 200 عام ترفد الفنون الأدبية والفنية بجماليات التمثيل والإخراج والتشكيل والكتابة المختلفة، من دون أن يتجرأ أي كاتب محايث لزمنها أو معاصر لاحق لتشكيل صورة شبيهة بالبطل الشرير الذي خلقته بمهارة، سوى من تناصّات سردية معروفة أخذت من فرانكشتاين اسمه وصورته البشعة وألصقتها على أحداث وطنية معاصرة.

كما فعلت شيلي بترتيب هذا الكائن من أعضاء بشرية متعددة لتخرج برواية إطارية وأنموذج سردي خارق بقي كل هذه السنوات يحمل اسم شيلي فقط التي أثّرت في أجيال روائية وقصصية كاملة، وكان تأثيرها بيّناً في مجمل حركية الأدب السردي والثقافة الشعبية التي تستهويها قصص الرعب في كثير من الأحيان. حتى أن كاتباً مرموقاً كجورج باتاي ناقش في كتابه المعروف "الأدب والشر" واستخلصه من كتابات عالمية رصينة لبودلير والمركيز دو ساد، وهذا الأخير يتميز بـ"شرانية" سردياته الروائية الحافلة بالجنس المجنون. وكافكا في روايته ذائعة الصيت "المسخ" التي بقيت إحدى علامات السرديات الكبرى في الأدب العالمي لما تحمله من مفارقة في شخصيتها التي تحولت من بشر إلى صرصار.

في الأرشيف المسرحي العالمي كان فرانكشتاين محور الشر والرعب في عدد من المسرحيات منها "مصير فرانكشتاين" 1823، و"ضحية مصاص الدماء" 1887، و"وحش فرانكشتاين" 1972 و"فرانكشتاين ماري شيلي" 1994 و"فرانكشتاين" 2011 وفي الروايات العالمية والعربية ظهرت هذه الشخصية الجدلية في عدد من الأعمال السردية التي حمل بعضها اسمه، في حين تحايل البعض بتهجين شخصية الشر إلى غير ما هي عليه في أصل الرواية الماريّة مع حبكة محلية لتغييب ملامح الشخصية الأساسية.

> الوحش الفني في الآداب والفنون يزيح الغطاء عن هذه الموضوعة ويكشف الكثير من ملابسات فرانكشتاين كشخصية فريدة

الوحش الأدبي والتشكيلي والمسرحي في شرّه الإبداعي المنجز وقوّة تأثيره على الأجيال الأدبية المتعاقبة هو ما يجعل من هذه الثيمة تتكرر على مر الزمن الأدبي والفني، وتحظى باهتمامات بحثية ونقدية ومتابعات كثيرة، فالشر الزمني هو شر قائم بين الشعوب في الحروب والدكتاتوريات والتحول السريع في الرأسمال الصناعي الغربي الذي أنتج شروراً كثيرة على مستويات سياسية واجتماعية واقتصادية، ولّدت ظروفاً قاهرة بأن يتحول الإنسان إلى غير فطرته، وما من شك من أنّ الظرف العربي التابع لذلك الرأسمال أنتج هو أيضاً آلياته المتوحشة بتهشيم الطموح الذاتي والجماعي وتحويله إلى سوق استهلاكية بشعة، وبالتالي فإنّ الندوة التونسية في بيت الرواية ستقف على هذه الموضوعة المثيرة، مكرسة أعمالها وندوتيها عن الشر والوحش في الآداب والفنون.

وحكاية رواية ماري شيلي التي دخلت عالم الأدب بطريقة المصادفة تحت مسابقة لروايات الخيال العلمي، وبما أن موضوعة الشر متعددة الأوجه لدى الكتّاب، فسيكون الماركيز دو ساد أحدهم، بوصفه يتطرق إلى موضوعة الجنس من جانبها الوحشي والسادي الأكثر قبحاً بين الساردين العالميين. ولن تغفل الندوة أفكار جورج باتاي وهو يشرّح قضية الأدب لروايات عالمية معروفة تحت بند الشر الذي تابعه فكرياً بتحليلاته النقدية المعروفة. بالإضافة إلى الكثير من المداخل النقدية والتوثيقية للاقتباسات الكثيرة لرواية ماري شيلي في الآداب والفنون والترجمات، بإسهامات بحثية لضيوف الندوة أيمن الدبوسي وابتسام الوسلاتي وهاجر بن إدريس وكامل العامري ووفاء غربال وأميمة القابسي ونجاة الذهبي ووليد سليمان وهيام القطي وعباس بيضون وزهية جويرو وأحمد سعداوي ومحمد الحباشة.

الوحش الفني في الآداب والفنون سيزيح الغطاء النقدي لهذه الموضوعة الأثيرة ويكشف الكثير من ملابسات فرانكشتاين كشخصية فريدة ومدى تأثير سلوكها في السرد العربي بشكل عام.

الكائن فرانكشتاين أو إله النار الجديد

الشعر والرواية في مواجهة مستجدات الحاضر

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

تطرح مقالة الصديق الشاعر نوري الجراح "الشعر حصان المستقبل" (انظر مجلة الجديد – العدد 59، ديسمبر 2019) عدة قضايا تخص الشعر والشعراء، وتخص الرواية أيضا بعد أن صارت منافسا عنيدا للقريض، ويخلص إلى أن الرواية في المستقبل المنظور إلى زوال إذا لم تتأقلم مع مستحدثات الثورة الإلكترونية المتواصلة، وأن الشعر باق برغم الأزمات. ذلك أنه ينطلق من معاينة راهنِ الشعر العربي، الذي "يشهد اليوم نوعا من النمطية المستجدة"، ونصوصِه التي "ابتعدت عن فكرة اللغز، وباتت تضرب في أرض المعلوم"، و"تفتقر إلى موقف فلسفي من اللغة والوجود".

والنمطية في رأيه تتمثل في "تسليم الشعراء نهائيا بالنثر وسيطا لتوليد الشعرية" واحتفاء شبيه بالتقديس لقصيدة النثر، ما أطمع أناسا كثرا من ضعاف الموهبة، وخلَق فوضى عارمة في مدينة الشعر العربي، التي باتت بلا أسوار ولا أبواب في غياب حارس/ ناقد يحل كل شيء محله. فقد تحول الحدس الشعري عند هؤلاء إلى ما يشبه أفكار حرَفيّ، ففقد الشعر تساميه الأصلي لينحدر إلى الشواغل البسيطة لمُصنّع نص. وبدل كون منطوق بجلاء، له صلة بمقتضيات العقّل الواضحة، ظهرت لوحة مفتتة تتحدى كل قوانين الإدراك، وتشظت في نوع من الفوضى البنائية. ومما زاد مدينة الشعر هشاشة أن جانبا من الشعراء هجروا الشعر ودروبه الوعرة إلى الرواية، لعلهم يجدون فيها سبيلا للتعبير عن ذواتهم ومشاغلهم، ويحققون ما لم يبلغوه في عالم الشعر. ولكن الجراح يعبر عن شكه في إمكانية تحقيق مبتغاهم نظرا إلى زحف الشاشات بأنواعها، واستحواذها على وسائط الكتابة والنشر والقراءة استحواذا يهدد بزوال الرواية، في صيغتها الحالية على الأقل. ويؤكد من موقع الشاعر المجرب أن المستقبل للشعر، ومن ثَمّ عنوان مقالته.

لا جدال أن حركة التجديد الشعري، التي نهلت من تجارب بودلير، ومالارمي، ورامبو، وسان جون بيرس، وإليوت، وعزرا باوند، ووايتمان، قد خبا وهجها برحيل روادها، أو ركونهم إلى الصمت يجترون منجزاتهم، وأن التجارب اللاحقة التي عادت إلى التراث العربي تستلهم روح التصوف فيه لم تجد الصدى المنشود، وأن الأصوات القليلة الجادة غطى عليها ضجيج أصوات جديدة دخلت قصيدة النثر من الباب الخاطئ.

ومن هنا كانت الفوضى التي أشار إليها صديقنا الجراح، ولكن من نحا منحى هؤلاء أو أولئك إلى الرواية لم يكن بدافع البحث عن سبل تعبير أسلس وحده، وإنما انساق مع تيار عات، جرف وراءه كل راغب في الظهور، بعد أن اجتاح الساحة العربية في الأعوام الأخيرة هوس بكتابة الرواية، وبات أغلبهم يتخذها مطية لإثبات الذات وتحقيق مكانة اجتماعية لم يحزها في مجالات تخصصه، أو لم يبلغها بكتابة الشعر. الشعر هو شدو الإنسان في هذا العالم، ولسانه في التعبير عن وضعه التراجيدي في الزمن المعاصر، ولكن حياة الشاعر، كما بين كيركيغارد، تبدأ بصراعه مع الواقع كله، فهو ينطلق من الواقع ليصوغ واقعا مختلفا، نوعا من الواقع السريالي، لكي يعيد إلى الأشياء ما يخفيه المرئيّ عن ناظريه. ثم إن القيمة الشعرية تتركز دائما على الفكر، فقد ارتبط الشعر منذ بداياته بالفلسفة، ولا يزال يتغذى منها، وديناميةِ تطوراته المعاصرة ليست بمنأى عن هذه العلاقة، سواء على مستوى الإيقاع أو الفكر. رأينا ذلك في تجارب السابقين، مثل هولدرلين، وليوباردي، مثلما لمسناها في من جاء بعدهم أمثال إيف بونفوا، وفيليب جاكوتي، وميشيل ديغي، ولدى كل من تأثر بهم من شعراء العربية. وما زال كثير منها يشهد على هذا الترابط بين الشعر والفلسفة. ألم يقل أينشتاين إنّ الأداة الشعرية لها نفس شرعيةِ الأداة المنطقية؟

فالشعر باق ما بقي الإنسان، وكذا الرواية، لأن الأدب لا يتوارى كشبح. ومن ثَمّ فإن القول بموت الرواية لا يعدو أن يكون استعادة لما واجهته من نقد راديكالي أعرب عنه منظرو الرواية الجديدة في فرنسا، وأعلنوا فيه عن موت الرواية وموت المؤلف معا. وكان دعاته ينبذون الواقع وكل ما هو مرجعي، ويصرون على أن أي نص لا يحيل إلا على نصوص سابقة. وقد وجدوا السند لدى بعض المفكرين اليساريين أمثال دولوز، وبورديو، ولاكان، وبارت. ثم اختفى تيار الرواية الجديدة باختفاء رموزها ولم تمت الرواية، بل نهضت من رماد تلك الحقبة لتعانق العالم برؤية جديدة.

وقيل الشيء نفسه في الولايات المتحدة في المرحلة ذاتها، عندما ظهر إنتاج روائي يخالف الذائقة السائدة، من خلال أعمال تميزت بما أسماه النقاد "ميتاخيالية"، أي تشويش الحدود بين التخييل والسيرة الذاتية. وكانت في الجملة أدبا عرف كيف يدمج ما توصلت إليه الرواية الجديدة في فرنسا من نتائج، في تمردها على الرواية الكلاسيكية. ورغم ظهور أسماء أمثال جاك كيروك، ووليام بوروز، وجون بارث، فإن عناوين بعض الصفحات الثقافية كانت لا تنفك تنعى موت الرواية الوشيك.

> الشعر باق ما بقي الإنسان، وكذا الرواية، لأن الأدب لا يتوارى كشبح والقول بموت الرواية ليس منطقيا

وقد رأى المؤرخون في ذلك تعبيرًا عن نوستالجيا نقاد تعلقوا بتقاليد أدبية معينة مثّلها جيل من العمالقة في مقدمتهم دوس باسوس، وهيمنغواي، وفوكنر، ورفضا لتصور جديد للأدب الروائي ومِراسه. مثل هذا الانتقال، من مرحلة إلى أخرى، تصحبه دائما معطيات جديدة، نجدها اليوم في علاقة الكتاب الورقي نفسه بالملتيميديا، وأثر ذلك على نشر الأعمال أيا ما يكن جنسها، بعد أن صارت وسائل الاتصال الحديثة تنافسها، بل وتهدد وجودها. بسؤاله عن الشكل الجديد الذي سوف ينبثق من الثورة التكنولوجية، قال الفرنسي جان رُوُو الفائز بجائزة غونكور عام 1990 "قد تكون الإجابة أكثر عنفا من مرحلة الستينات والسبعينات، ولكن الجديد لن يكون رواية مؤلفة من رسائل إلكترونية وتغريدات، فالحداثة التكنولوجية ليست مجرد تغيير في الوسائط، بل هي تغيير في البراديغم".

الشعر والرواية لن يموتا